

## فلسفة التربية تطبيقات على التربية في مصر للأستاذ محمد حسن ظاظا

- ١٢ -

« لا معرقل نهضة الأمة أشد وأفدح من تباعد ثقافتها وانقسام عقليتها »  
« \*\*\* »  
« لقد قررنا أن نجعل كل مواطن موضع عناية الدولة وحماتها ،  
فمصرات الملايين محرومة الآن مما نسبه بمقاييسنا الدنيا « ضرورات  
الحياة » ! ولذلك سيكون مقياس نجاحنا هو : لا هل أضفنا زيادة  
لأغلب أولئك الذين عندهم الكثير ! بل هل قدمنا الكفاية لأولئك  
الذين ليس عندهم إلا أقل القليل » ١٤  
« الرئيس وشتنن ،

### ٢ - الأمية وانقسام الثقافة

بينت في المقال السابق أهمية الموضوع وخطورته بالنسبة لمصر  
ولا سيما في عصرها الراهن ، وعلمت بأهم هذه الرسالة النقدية  
الحصيفة التي قد أخرجها « الدكتور جاكسن » أخيراً متناولاً  
فيها بعض نواحي النقص بالتجريح والعلاج ، وستقرأ منذ اليوم  
تلخيصاً وتعليقاً على هذه الرسالة الفريدة ، كما ستقرأ فيما بعد  
ما أستطيع أن أقدمه من ملاحظات واقتراحات ...

#### ١ - فرصة مواتمة للمصالح

والحق أن الفرصة الحاضرة ملائمة من جميع نواحيها لاصلاح  
التربية في مصر . ذلك أن تيار الوطنية الجارف قد أوجد شعوراً  
عاماً بوجود النهضة ، وبعث المجد القديم ، والاحتفاظ بما  
كسبنا من حقوق ، فالتنبيه إلى أن التربية الصالحة خير أداة  
لتحقيق هذه النهضة المنشودة يجد صدىً بسهولة في الرأي العام ،  
ويجد مكانه اللائق به في برامج الأحزاب ونفوس الزعماء ؛ وإذا  
فلا مندوحة لنا من انتهاز هذه الفرصة الواتية والعمل على  
الاستفادة منها ، ولنحذر تماماً مغبة الاندفاع الكلي إلى شئون الدفاع  
الوطني وحده لأن السيف كما يقولون لا يعمل إلا في يد بطل ؛  
ولنتكف بما كان فنصرف الطلبة إلى شئون الدراسة وحدها لأن

السياسة قد جنت على ثقافة البلد وأخلاقه بتخفيضها نسبة النجاح  
ترولاً على صيحات الكسالى الراسين ١١

#### ٢ - الحاجة إلى الزعماء الكبارين

فترى إذا ما هي حاجة النهضة المرموقة ؟ أحسب أن هذه  
النهضة تتطلب أولاً وقبل كل شيء زعماء كثيرين جديرين ،  
يستطيعون أن يحملوا الشملة وينطلقوا إلى تبديد الظلام في شتى  
نواحي الضعف والنقص بقلوب فنية ، ونفوس حازمة ، وضائر  
نقية تقدر المسؤولية وتتفانى في التضحية وضرب المثل الأعلى ؛  
زعماء لسياسيين فحسب ، ولكن أخلاقيين واقتصاديين  
ورياضيين واجتماعيين وغير ذلك مما تتطلبه نواحينا الكثيرة  
التباينة ... ويقع عبء تخرج هؤلاء الزعماء على المدرسة والبيت  
بما فيها من معلمين وآباء ١١ أو قل إنه يقع على المعلمين بوجه  
خاص ، فإذا نجحتنا في إخراج هؤلاء فقد وضعنا الأساس القوي  
المكين . ولا سبيل إلى هذا النجاح إلا بتعليم إنسانى يحفز ويشير  
ويقوى الشخصية ويخلق رجل المشروعات ... وهناك تنحط  
الزعامة على كثير من الحريجين وتسمى إليهم ... أما تعليم الحفظ  
والاستيعاب والجمود والانكماش فلا يخرج إلا أفراداً مصبوبين  
في قالب واحد ، لا خلق فيهم ولا تكوين ، ولا إزهار ولا إبداع ؛

#### ٣ - محور الأمية وتوجيه الثقافة

ثم ماذا ؟؟ يَبْقَى بعد تكوين هؤلاء الزعماء أن نجد  
« الشعب » الذي يتبعهم عن فهم وتقدير وبحماس وأتخاذ ؟ فهل  
لدينا ذلك الشعب ؟ ثمانون في المائة يا عزيزي أميون ؛ وأغلب  
الأقلية المتعلمة لا يدري من شئون العلم غير مجرد القراءة  
والكتابة ١١ وأغلب ما يَبْقَى بعد ذلك سطحي الثقافة فج العلم  
ملتوى الشخصية خامد الشعور ١١ ثم ليت هؤلاء - مع  
الأقلية الراقية الثقافة - متحدثين في العقل والقلب والعقائد  
والأمانى ١١ أليس فيهم المصري الشرقى والمصري الغربى ؟  
أليس فيهم المعم بكل ما له من منطق يخالف المطربش ولا يكاد  
يتفق معه في فهم الحياة ولا سيما ناحيتها الحديثة ؟؟ كيف إذا  
نستطيع أن نرجو لهذه الأمة نهضة وهي جاهلة ومنقسمة ؟؟  
كيف نستطيع أن نسوقها إلى الحرية والاستقلال والمجد وسوادها  
الأعظم يعيش كما تعرف في كفاف العيش ، وظلام العقل ،

## ٥ - ضرورة التقارب والتوحيد

هناك نزاع إذاً بين الثقافتين عنيف ، والواجب هو التقريب والتوحيد بقدر المستطاع ؛ مهما حاولنا أن نبقى الشرق شرقاً والغرب غرباً ، لأن الاتصال بينهما يزداد كل يوم ويتضاعف ، ولأن في الغرب من القوة والحياة كل ما هو جدير بالاتساق والانسجام مع عظمة الشرق ومجده ؛ لسنا ندعو إذاً إلى طغيان أحدهما على الآخر ، لكننا نريد تناسقاً يخلق لنا حياة أغنى وأعمق وأكثر بعثاً للرضى والتآلف والارتياح . يقول فرويد Frouide « إن عدم التغيير موت » ؛ فلنأخذ من الغرب مثلاً رياضته وهندسته وتربيته وفته ، ولنبق للشرق خلقه وكرمه وروحانيته ، وليكن رائدنا في جميع ما نأخذ وما ندع هو الرغبة في التقدم التي يحفظ لنا شخصيتنا ولا يتركنا متخلفين وراء الغرب ، ولتكن خطتنا هي التقريب بين المعاهد المختلفة لتحسين خططها وتوحيد غرضها وتقليل نفقاتها ، بحيث بنجم عن ذلك التقارب تعاون متناسق يعمل من أجل غرض واضح مرسوم . ذلك أن العقل الناجح هو ذلك الذي تعمل خلاياه باختلاف وانكسار ترجع جميعاً إليه كمقل واحد منتظم . وإذا بحثنا عن ذلك العقل الموحد في هيئاتنا التعليمية لم نجد بين خلاياه اتصالاً مقبولاً ، ولم نجد له غرضاً واحداً موضوعاً تعمل الجهود المختلفة على تحقيقه

## ٦ - اقتراحات لمصر

وإن كانت مصر قد أخذت بكثير من نواحي العلاج ، وستستفيد بلا ريب من احتكاكها بعصبة الأمم في نواحي الصحة ولطفولة والعمل والتعاون الفكري فلا شك أنها محتاجة لبحث الشؤون الآتية كوسائل ضرورة للعلاج :

( ١ ) النظر في أية ثقافة جذرية بالتشجيع ؛ وأية حياة مثلى يجب أن تسيطر على نظام التربية ؟<sup>(١)</sup>

( ٢ ) نشر التعليم ومحو الأمية والارتقاء بمستوى السواد

( ١ ) وتستطيع أن ترجع هنا للقائمة السابقة الطويلة التي قدمناها . ولعلك ترى مدى وجوب العناية بالناحية الخلقية والروحية والاجتماعية والدينية في ثقافتنا . هذا إلى جعل عملية الثقافة ذاتها متفحة وأصول التربية الحديثة التي تنس على تنمية الفكر واستعمال اليد وإرهاق الحس وتغذية الشعور . الخ فلا يتعلم الأطفال القراءة والكتابة فقط . بل يفكرون لأنفسهم ويصدرون أحكاماً تزيهه عادة على الأشياء كما هي ، ويساهمون في المجتمع فخوريين بعضويتهم فيه مقدرين لعظائمهم ونتمهم وتقاليدهم وأغانيتهم ، ناظرين إلى دولتهم كمضرب عامل في العالم الأكبر له مكاتبه الحاضرة ومجده القديم

ومستوى الحيوان ؟ وكيف نستطيع أن نطمح في أمجادها وزهرة رجالها متباعدون لا يجمعهم عقل واحد ، ومتنازعون يحاول كل منهم أن يفرض تقاليده على الآخر ؟ ؟

## ٤ - روح التعليم الراهق

ومع كل فهل روح التعليم في الثقافة الشرقية ( وتمثل في الأزهر الشريف وكتابه وما يقترب منه ) والثقافة الغربية ( وتمثل على الخصوص في المدارس الابتدائية والثانوية والمخصوصة والجامعة ) صالح كل الصلاح ؟ يرى « الدكتور جاكسون » أن ذلك الروح ما يزال مشوباً في كلتا الثقافتين بألوان من النقص كثيرة . فالتعليم الشرق بالرغم من سموه على التعليم الغربي بروحانيته العالية ، وأخلاقه الدينية ، وعقائده السليمة ، معنى كثيراً بالتكرير والتقليد لا بالكشف والخلق والإبداع . ولذلك كانت نتائجه سالبة أكثر منها موجبة ، وكان أثره خريجه في إصلاح الشعب أقل مما يجب وإن كان في مجموعته عظيماً . ولئن قيل إن العلوم الحديثة قد أدخلت أخيراً في هذه الثقافة فالراجح أن إدخالها لم يزل شكلياً في طريقتها ونتائجها ، وذلك لم يزل هناك حاجة قصوى للتعديل فيه والإصلاح ؛ أما التعليم الغربي فنواحي تقصه كذلك كثيرة . ومن هذه النواحي إخراج الطالب مخالفاً لتقاليد عائلته وأمته ومنقسماً عليها ، وراغباً في التجديد الأعمى الذي لا يحفظ له شخصيته كعصرى وشرقي ، ولئن كانت به عناية أكثر بالكشف والخلق والإبداع فإن تكوين الروح الاجتماعية ما يزال ضعيفاً فيه ، وعنايته بالحفظ والحشو تكاد تغطي به على غيرها

هذا من ناحية . ومن ناحية إعداد « المعلمين » في كلتا الثقافتين نرى كذلك من التباعد وعدم توحيد الجهود واختلاف النزعة الشيء الكثير<sup>(١)</sup> ... وقد نجم عن ذلك تباعد طوائف المعلمين في المشرب وعدم تعاونهم وأحاديثهم في دراسة قضية التربية مع أنهم جميعاً تلك الطائفة المختارة التي قد ألقت إليها الأمة بفلاذات أكيادها لإعدادها خير إعداد ؛ أفى المحامين أو الأطباء انقسام وتباعد كما في المعلمين<sup>(٢)</sup> ؟

( ١ ) فنلا في مصر ثلاثة معاهد مختلفة لتخريج معلمي اللغة العربية وهي الجامعة ومعهد التربية - ودار العلوم - ومدارس المعلمين !  
( ٢ ) وأثر ذلك التباعد في « قضية المعلمين » ذاتها لا يحتاج إلى بيان . ونرجو أن يتبع لنا الوقت فيما بعد لتناول حياة المعلم الحاضرة وما يجب أن تكون عليه بالنقد والاقتراح